غاضبون

غاضبون ، غاضبون ، غاضبون ،
ونعلم ما تفعلون ،
غاضبون !،
غاضبون !..

نحدّق فيكم ،
ذاهلون ،
من خمسة آلاف عام على ورق البرديّ تذوون ،
أما فرشتم عبوديةً في المدى ؟!،
أصيخوا سمعاً للصدى !،
كم أعطى الرجع سعادةً وحبورا ؟!،
من خمسة آلاف عام ،
بأحلامنا تلهون

تعبثون !،
تسخرون ،
تغفون ، تصحون على ورقٍ مصفرّ تصفرون ،
ولا يهمّكم ، الناس غافلون ،
خائرون في غياهب النسيان ماكثون ،
لا يهمّكم ! ،
من ضيقٍ يغنون ، من غضب يجأرون ،
أقلامهم التي أشعلت شمساً في الدُجى ،
أضحى الحبر رماداً ،
يحترقون ،
يموتون !.

يصحو لهم أخرس الصوت في قعر الليالي ،
ينهش لهم قمراً ,
يجتث الدوالي ،
يترك رسالة عابثين على أرصفة التاريخ يلهون ،
ينبش سحرةً ركعاً لربّ المجون ،
يتناقلون أوزاراً !.
يختلفون ،
يفترقون .. يأتلفون ،
تداخلت غاياتٌ رياءً وأسى !.
يحمّون !.

وقلنا كفى !.
نحن دائرون في الحقلِ نقتنص قبلة السنابل ،
نعيش في مزابل !،
نفتدي ونفتدي !،
كفى أرواحنَا ، أفكارنَا ، تقاتلْ !.
أما اكتشفنا الخداع !، في كلّ ركنٍ مخاتلْ ،
لم يبقَ لنا شيءٌ .
ذوى الحلمُ ،
تصحّرنا ، تسطّحنا ،
تقطعنا قبائل .

نجترّ بؤساً ،
نقتات الصبر الجميل ،
على مسار الدهر سدىً ، لم تُضئ لنا مشاعلْ !،
أسرى على الأمواج رهط يقود الركب جاهلْ ،
كان للشيطان نداً ،
للساقطين مائلْ !.

قلنا كفى !..
يا سيدي !،
أما أدركت بعد أن المدفع لا يصنع احتراما ؟!،
وأن الدبابة لم تخرس كلامَا ؟!،
وأنا خفناك ، نعم !،
كما يخشى ذئباً غنمْ !،
كما يركع وثنيّ تحت قبضة الصنم ,
وأضحى الصنم حصىً ، تحطم ،
التهمه الجائعون ،
ذرَوهُ غباراً للعدمْ .

وانظر إلى وطن مديد ،
نحن في قيد العبيد !.
نولد في الظلام موتى ، لموتى في كهف جديد !.
وأنت البهلوان !،
كملهاةٍ ولدت من أتون الملاحم ،
تجوب الديارَ في سيف قرصان ،
جرَّ ما استطعت الغنائم !،
علّ يكفيك الثراءْ
لون فقاع الضوء والهواء ،
واجمع حماماً أبيض يملأ السماء !،
أمامك فرح قادم !،

لا يهمّك الحزنُ المديدْ ،
أن ترانا محضَ كلام يئنّ في وجه شهيد !،
فلا تسمعْ حين نشكو منك ، متنا !..
يكفيك ما تلقي الوعيدْ !.
هل عندك بعد الموت يا سيدي شيءٌ جديدْ ؟!..
دِرْ بالك ،
خلفك الحثالةٌ نعرفهم ،
أمامك سجن وقيد .

وماذا أردت ؟!،
أن نركع فوق موتنا لك شكرا ؟!،
نريد منحك ، مرحى ، جعلتنا نكره الوطن !،
نكره فيه أنفسنا ،
نلعن الزمن !،
نفضّل موتاً على عيشٍ في كنف الدِّمَنْ !.

ما خبّأتَ لنا بعد ؟!..
ما تخط لنا يداك في ظلام الليل ؟!،
لمن تريدنا نخضع بعد يا سليل مزرعةٍ طويلةْ ؟!..
على أيّ أرضٍ ندبُّ ، في أيّ ريحٍ تهبُّ ؟!..
في حمى أيّ قبيلةْ ؟!،
قل لنا ، ما الثمن !.
لكرسيّ قام على عفنْ ؟!،
الشعب يغفو على كفنْ !.
يصحو على كفنْ ،
أ ما لهذا الطيش مدىً ؟!.
أما له زمنْ ؟!.

أ رأيتَ حين يبكون ؟!.
أ عانيت بعضَ ما يشكون ؟!،
أ سمعتَ حين يجأرون ؟!..
أم كان الوطن قطعة حلوى تمطى لها خائرون ؟!،
أم مزاداً لجامعي التحف ؟! ،
أم جعبة صياد تسلى برمي الطيور ،
أم سوقاً للنخاسة ؟!،
أم رحلة استجمام لقفص يمخر فوق ظهر العبيدْ ؟!.
أ هذا ما سطّر الشعراء ،
وقال النشيدْ ؟!

لو كانوا في عينك خلقاً مثل البشرْ !,
لا من غبارٍ أو حجرْ !.
لهم مآقٍ تنزف دمعاً ، قلب سكن القمرْ ،
جراح تغني في الصحارى ،
يغفو عليها الزمان ، ويسخر في خلسةٍ قدرْ .
حتى صاروا سبيَاً في قبوِ قرصان !،
جاءه فانوس السحرِ هديةً ،
ومن عثمان قمصان !.

أين ما تلاشى يا غلام ؟!..
أين ما نأى للحالمين حلمُ المنامْ ؟!..
لأتراح الثكالى ؟!،
من يعيد ما تهدّم على حطام الأماني وقرع السلام ؟!.
أ جعلتهم يسجدون ؟!.
فأنت الإله ، أحي لهم ما أمتّ ،
أعد من شردت ، ردّ كرامة من أهنتَ ،
أرجع الدمع إلى عيونهم !.
أعد ثروةً صادرتَ ، بيوتاً هدمتَ ..
أحي لهم من أمتّ !.

يسألونك ،
أين شوق أطفال تقطّعوا ؟!،
أين من قضى على الصليب في دهاليز السجون ؟!.
أين بدرُ سماء درعا ، نجومُ ليلِ حمصَ ؟!،
أين السُراةٌ ، من تبخترَ في حماةَ هوىً ؟!،
آثارهم رصعت الجبالَ أحجاراً كريمةْ ،
لبست رمال الصحارى !،
رفعت للسماء مجرّةً ،
أشعلت للشمس نارا !،
طمرت على تخوم الليل نهارا ،
غرست على أطراف شتائنا ربيعاً ،
بنت للحبّ دارا !..

نحن لم ننتخبْ حثالةً ، كي يفعلوا هذا !،
لم نخترْ واحداً منهم ،
أنت الذي اخترتَ ،
أنت قررتَ ،
أعطيتَ ،
منعتَ ،
قتلتَ ،
شردتَ !.
أعد لنا ما أخذتَ !.
أما قالوا ، أنت الإله ؟!..
وجعلت الناس يسجدون ؟!،
أحي لنا ما أمتّ !،
أعد فَرحة الأطفال ،
ردّ دمع الثكالى إلى المحاجر ،
أعد من شردت ،
أو ارحل كيفما شئت !.

خذ معك مصاصي الدماء ،
احفظهم رُقىً تطرد لك الهواجس ،
انقعهم عند الصباح في الماء ،
اشربه في المساء ،
واقلب صفحة الموتِ السرمديّ ، القلبُ دامٍ في لهبْ ،
الصمت في قلب الصخب !،
عين الله في غضب !.
فابتعد !،
لا تقتربْ !.

وشكراً لك شكرا !..
حفرت لنا دربا !، اغتلت حلماً راود الأحلام قربا ،
سرْ دربك هرولةً ، أو جُرَّ الخطى جرّا !..
ودعنا ، نريد بدايةً جديدةْ ،
نبعثر الرمالَ ، نقيس الشواطئ ركضاً ، نروي قصصاً مجيدةْ ،
نأخذ نفَساً من الهواء حرّا ،
خنقتنا ، كبّلتنا ،
غرست فينا آلةً تعدّ لك نبضنا ،
تسجل كل حرف ، تقطّع لك أعصابنا ،
حلّ عنا ،
هل شريتنا ؟!، هل استعبدتنا ؟!، اعتقنا لوجه اللّهْ !.
اذهبْ ، غنّ الأغانيَ لمن تهواهْ ،
دع لنا الآهْ ،
تمرّغْ على شواطئ جُزرٍ قصيّةْ !..
رتّل لحن ضميرٍ ميّتٍ ،
صخْ مواويلَ جبليةً شرهة ،
امسح الأرضَ طولاً وعرضاً ،
تكسّر في علبِ الليلْ ،
تجبّرْ على صهوةِ الخيلْ ،
تغزلْ في هوى الحبيبْ ،
دعْ لنا النحيبْ ،

وامض !..
أما كان لك أمنية ، سجني في الهواءِ الطلقِ على طيف الأثير ؟!.
وأنت كالباشق في السماء ؟!.
على بساط الريح ،
حارساً حتى أبقى في دهاليز الأرض أشلاءْ ؟!.
واقف على الأطلال ،
لا أريد حكماً ، لا حرث ، لا مال ، لا ولدْ !.
تركت البلدْ ،
في يدي قارورة ماءْ !..
وفي أخرى لخيمة الصحراء وتدْ !.
ما سرقت مالك ، ما قتلت أهلك ، ما أجريت الموبقات !.
لم تحتمل قلباً يغرد في وطنٍ جريحٍ ، حتى زادَ العددْ !..
كان للشيطان ما قصد ،
كأن الأيام وزرٌ ، والحادثاتِ مددْ !
أراد أن تسفك الدمَ ، وتحرق الحرثَ ،
ويهلك تحت نعليك شبخٌ وولدْ !.
يا أسدْ !.